

كان ما يزال ممثلاً في اللجان القومية ، والذي كان يمثل يومياً بأفواج من الفلاحين المدعمن والعمال العاطلين عن العمل في المدن والارياف . وهكذا لم يكن أمام المفتي الا ان يهرب الى الامام ، فقد تجنب الاعتقال بأن اعتمص في الحرم الشريف ، ولكن الاحداث دفعته الى موقع لم يكن ليستطيع الوقوف فيه قبل ذلك بعام . ففي ايلول ١٩٣٧ اطلق أربعة من الفدائيين المسلحين النار على اندروز ، حاكم الجليل ، فيما كان يخرج من الكنيسة الانجليكانية في الناصرة فأردوه قتيلًا ، « لقد كان اندروز الرسمي الوحيد الذي ادار الانتداب وفق ما كان يعتبره الصهاينة صحيحًا ، وقد فشل في كسب ثقة الفلاحين العرب » . كان العرب يعتبرونه صديقًا لليهود ، وان مهمته هي تسهيل انتقال لواء الجليل الى الدولة اليهودية التي حددها مشروع التقسيم ، كان الفلاحون العرب يكرهونه ويتهمونهم بتسهيل بيع اراضي الحولة ، أما الفدائيون الذين صرعوه فمن المعتقد انهم ينتهون لاحدى خلايا السرية التي كانت للقساميين(٨٤).

ومع ان اللجنة العربية العليا استنكرت هذا الحادث في الليلة ذاتها ، الا ان الموقف ، تماما كما كان الامر عند استشهاد القسام ، كان قد خرج من بين ايدي المفتي وجماعته ، وكان عليهم اذا ما ارادوا البقاء على رأس الحركة الوطنية، اللحاق بها وركب موجتها كما حدث في نيسان ١٩٣٦ . الا ان هذه المرة كانت الاندفاع الثورية عند الجماهير أشد عنفا ، ليس فقط بسبب الخبرات التي اكتسبوها اثناء تجربة العام الماضي، ولكن ايضا بسبب ازدياد وضوح التناقض القائم أمام اعينهم ، ومن المؤكد ان هذه المرحلة من الثورة قد اتجهت بصورة جوهرية ، ان لم نقل كلية ، ضد البريطانيين وليس ضد الصهيونيين ، وقد افرز نمو التناقض المواقف اغرازا اكثر حسما: هيمن الفلاحون كليا تقريبا على الثورة ، وتراجع دور البورجوازية المدنية قليلا الى الوراء ، واخذ أثرياء الريف وكبار الفلاحين المتوسطين يترددون في مساندة الثوار ، وانتقلت القوى الصهيونية الى حالة هجومية فعالة .

ان مسألتين هامتين في هذه المرحلة من الثورة ، ينبغي التوقف عندهما : الأولى : ان « العرب اتصلوا باليهود مقترحين التوصل معهم الى نوع من الاتفاق على أساس قطع العلاقات مع بريطانيا

دلائل تشير الى رغبته في قبول مشروع التسوية التي كانت بريطانيا ستعرضه ، وقد استند زعماء هذا الحزب ، الذي كان يمثل بالدرجة الاولى اندية المدن ، الى التذمر الذي اصاب كبار التجار العرب في المدن نتيجة الاضراب ، والسى التخلخل الذي طرأ على مصالحي البورجوازية المدنية التي كانت تعتمد على علاقات اقتصادية ومليدة ممثلة بوكالاتهم عن الصناعات البريطانية واحيانا اليهودية .

وسانددت الانظمة العربية ، خصوصا نظام شرق الاردن ، موقف هذا اليمين بكل قوة ، ولم يكن عند الحاج امين الحسيني وما يمثلها اي حافظ لليسل الى جهة اليسار الذي كان عمليا قد بدأ يعمل على تصفيته ، وهكذا شرع موقفه يزداد تذبذبا وترددا، وبدأ انه اضحى في موقع لا يستطيع معه المضي بالثورة ولا حتى خطوة الى الامام ، كما ان التراجع الى الوراء لم يعد يفيد ، ومع ذلك نحن اعتقد البريطانيون ان تصفية المفتي سياسيا اصبحت ممكنة خلال فترة الهدوء التي اعتبرت انتهاء الاضراب اكتشفوا ان ذلك ليس صحيحا ، وان يمين المفتي ما زال اضعف بكثير من ان يضبط الموقف ، واستمر المندوب السامي البريطاني ، بحيث ، يدرك ضخامة الدور الذي يستطيع المفتي لعبه وهو محور ذلك الموقف بين حزب الدفاع عن يمينه وحزب الاستقلال (جناحه اليساري) وحركات الشبيبة المثقفة عن يساره ، كان هذا المندوب السامي يدرك قدرة بريطانيا على الاستفادة من الهامش الواسع القائم بين « صلابة القرويين الذين تاومونا ستة اشهر وهم يلقون اجورا ضئيلة ولا يقدمون على النهب » وبين « ضهف او انعدام الصفات القيادية العظيمة لدى اعضاء اللجنة (العربية العليا) العشرة »(٨٤). وقد اتضحت صحة نظرية المندوب السامي الى الدور المحدود الذي يستطيع يمين المفتي ان يلعبه حين عجز حزب الدفاع عن الوقوف بوضوح امام تقرير لجنة بيل الذي صدر في ٧ تموز ١٩٣٧ والذي اقترح التقسيم وانشاء دولة يهودية . وقد اتضحت في الوقت ذاته، ايضا ، ان خشية المندوب السامي من ان يؤدي ضغط اولئك الذين يقفون على يسار المفتي السى افتاده اعتداله لم تكن خشية بلا اسباب ، على ان ذلك الضغط لم يحدث من قبل الجهة التي توقعها المندوب السامي ، بل من قبل الكادر الاوسط الذي